

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[368] ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة، وقالوا: أنزله لا يمكن استباحة دماء هؤلاء لمجرد عدم هجرتهم مع المسلمين: فنزلت هذه الآية الكريمة وهي تلوم الفئة الأخيرة على خطئها، وترشدها إلى طريق الحق الصواب (1). التفسير استناداً إلى سبب النزول الذي ذكرناه، تدّيح لنا الصلة الوثيقة بين هذه الآية والآيات التي تليها، وكذلك الآيات السابقة التي تناولت مواضيع وقضايا عن المنافقين. فهذه الآية تخاطب في البداية المسلمين وتلومهم على انقسامهم إلى فئتين، كل فئة تحكم بما يحلو لها بشأن المنافقين، حيث تقول: (فما لكم في المنافقين فئتين...) (2) وتنهاي المسلمين عن الاختلاف في أمر نفر أبوا أن يهاجروا معهم، وتعاونوا مع المشركين، وأحجموا عن مشاركة المجاهدين، فظهر بذلك نفاقهم، ودلت على ذلك أعمالهم، فلا يجوز للمسلمين أن يندفعوا بتظاهر هؤلاء بالتوحيد والإيمان، كما لا يجوز لهم أن يشفعوا في هؤلاء، وقد أكدت الآية السابقة أن: (من يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها). وتبيّن الآية بعد ذلك: إن الله قد سلب من هؤلاء المنافقين كل فرصة للنجاح، وحرّمهم من لطفه وعنايته بسبب ما اقترفوه وإن الله قد قلب تصورات هؤلاء بصورة تامّة فأصبحوا كمن يقف على رأسه بدل رجليه: (... وإن أركسهم بما كسبوا...) (3).

1 - ذكرت أسباب أخرى لنزول هذه الآية والآيات التي تليها، وقيل أنزلهما نزلت في واقعة أحد بينما الآيات التالية تتحدث عن الهجرة ولا تنسجم مع هذا القول، بل تنسجم مع سبب النزول الذي ذكرناه أعلاه. 2 - في هذه الجملة، جملة أخرى محذوفة تتضح لدى الإمعان في الأجزاء الأخرى من الآية والتقدير: "فما لكم تفرقتم في المنافقين فئتين...". 3 - "أركسهم": مَن ركس وهو قلب الشيء على رأسه، وتأتي أيضاً بمعنى ردّ أوّل الشيء إلى آخره.